تَارِيخ شُعَرَاءِ العَرَبِيَّة

البُحتُرِيّ

العَصرُ العبّاسي الثاني



اعـداد

الدكتور محمد حسني مصطفى

مراجعة

أحمد عبد الله فرهود



منشورات

دار القلم العربي بحلب

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

عنوان الدار

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي

شارع هدى الشعراوي

هاتـف : ٢٢١٣١٢٩ ص . ب : / ٧٨ / فاكس : ٢٢١٢٣٦١ ٢١ - ٠٠٩٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

اسمه ومولده

هو أبو عبادة ، ثم صار يكنى أبا الحسن ، الوليد بن عبيد ، من عشيرة بُحْتر الطائيّة ، والبُحْتر : القصير المجتمع الخَلْق ، وكان مولده في منطقة مَنْبِج في الشمال الشرقي من مدينة حلب ، وهي الآن تتبع من الناحية الإدارية لمحافظة حلب ، وتقع بينها وبين نهر الفرات . وكانت ولادته سنة ٢٠٤هـ .

حياته

درس الوليد علوم العربية وطرفاً من علوم الدين في مضارب قومه في منبج وباديتها ، وفي حلب ، وقال الشعر ، وتواترت إليه الأنباء أنّ أشعر الشعراء في عصره - أبا تمّام - يعقد في حمص مجالس أدبية يؤمُّه فيها الشعراء وهواة الأدب ، ويعرضون عليه أشعارهم ، فأغذّ إليه الخطا ،وحظِيَ بلقائه ، وعرض عليه شعره ، فأحسّ أبو تمام أنّ هذا الشاعر الناشئ ذو ملكَةٍ قويّة ، فشجّعه على المضيّ في هذا المضمار ، وقال له - وكان قد استمع إليه وإلى غيره أنت أحسن مَنْ أنشدني ، فحدِّثْني عن حالك . فشكا له البحتري سوء حاله ، فكتب له أبو تمّام كتاباً إلى أهل معرّة النعمان ينبئهم أن هذا الشاب على حداثة سنّه بارع في الشعر ، وأوصاهم به خيراً ، فلمّا قرؤوا الكتاب عُنوا بالشاعر وجعلوا له مرتّباً قدره أربعة آلاف درهم كلَّ عام ، وبدأ يمدح المشاهير بعد أن كان يمدح في منبج باعة البصل والباذنجان - كما رووا - واستمرّ يمدح الكبار في الشام والعراق عقوداً طويلة ، وتكسَّب بشعره ، حتى صار إذا مشى يمشي في موكب من غلمانه ، ومَلَكَ ضياعاً في العراق ، وضياعاً أخرى في الشام .

ليس هذا كل ما كان بين أبي تمام والبحتري ، فقد كان أبو تمّام أستاذاً للبحتري ، علّمه - كما روى ابن رشيق في كتابه (العمدة) - أن يتخيّر لقول الشعر الأوقات التي يكون فيها قليل الهموم ، صفْراً من الغموم ، وأن يتحرَّى وقت السَّحَر ، إذْ تكون النفسُ قد أخذتْ حظَّها من الرَّاحة ، وإذا أراد النَّسيب[1] فليجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رشيقاً ، وليُكثرْ فيه من بيان الصّبابة ، وتوجُّع الكآبة وقلق الأشواق ، ولوعة الفراق ، وإذا أخذ في مدْح سيّد ذي أياد فينبغي أن يُشْهر مناقِبَه ، ويُظْهر مناسبه ، ويبيّن معالمه ، ويشرف مقامه ، وينضّد المعاني ، ويحذر المجهول منها .

وممّا قاله أبو تمام للبحتري أيضاً : "إيّاكَ أنْ تَشِيْنَ شعرَك بالألفاظ الرديئة وكُنْ كأنّك خيّاط يقطع الثياب على مقادير الأجساد . وإذا عارضَك الضَّجر فأرح نفسَك ، ولا تُعْمل شعرَك إلّا وأنت فارغ القلب . واجعلْ شهوتك لقول الشعر الذريعة إلى حُسْن نظمه " .

مخالفة طريقته الفنّيّة لأبي تمّام

بقي البحتريّ وفيّاً لأبي تمّام طَوال حياته ، يعترف ، بأنه تابع له ، آخذ منه ، لائذٌ به ، وأنّ نسيمه يركدُ عند هوائه ، وأرضه تنخفض عند سمائه ، وأنّ أبا تمّام هو الأستاذ الرئيس .

لكنّ الناس وجدوا طريقةَ البحتري في طَرْق الشعر تباين طريقة أبي تمّام ، فتعصّب له فريق ، وتعصّب لأستاذه فريق آخر ، لكنّ ذلك لم يحمله

---

(١) النسيب : الغزل .

على النَّيْل من طريقة أبـي تمـام . وسـئل البحـتري في مجلـس عبـد الله بـن المعـتزّ أشعره خير أم شعر أبي تمّام ؟ وكان أبو العباس المبرّد حاضراً في المجلـس ، فقـال البحتري : أبو تمّام هو الرئيـس والأستاذ ، والله مـا أكلْـتُ الخبز إلّـا بـه ، ولا ينفعني أنْ يقدّمني الناس عليه ، ولايضـرّه ذلـك . فقـال المبرّد : أبى الله يـا أبـا عبادة إلّا أن تكون شريفاً من جميع جوانبك .

وبديهيّ أن الناس لم يكونوا جميعاً يفضّلون شعره على شـعر أبـي تمّـام ، وقد فصّل الآمدي في كتابه " الموازنة بين الطائيّين " أسباب ميل حِزْب كلّ من الشاعرين إليه ، فالذين يعجبهم عمق المعنـى ، ودقّـة الفِكْـرة ، وحِـدّة الفهـم ، وبراعـة الصـورة ، وضبابيـة الأسـلوب ، والتلويـن العقلـي ، والجمـال الـذي لا يكتشف إلّا للخاصّة الذين يسْعون إليه فيتبدّى لهم ، يفضّلون أبا تمّام وعلى هـذا المعيار جعله كثير من النّقاد القدامى أشعر أهل زمانه ، وإلى هـذا الموقـف انضـمّ من النقاد المُحْدَثين طه حسين ، وشوقي ضيف ، ونجيب البهبيـيّ الـذي اختـصّ أبا تمام بكتاب هو خير ما كُتب عن هذا الشاعر من عصره إلى هذا اليوم .

وأمّا الذيـن يتعصّبـون لعمـود الشـعر القديـم ، وديباجتـه ، فيميلـون إلى البحتري .

أهمّ سمات طريقته

يتخيرّ البحتري الألفـاظ العَذْبـة الخلّابـة ، والعبـارة السلسـة ، والديباجـة المطبوعـة ، ويبتعـد في ألفاظـه وصـوره ومعانيـه جميعـاً عــن التكلّـف والتعقيـد ومستكرَه الألفاظ ووحشيّ الكلام .

وقال ابن الأثير في شعر البحتري : " هو السَّهْل الممتنع الذي تراه كالشمس قريباً ضوءها ، بعيداً مكانها ، وكالقناة ليّناً مسُّها ، خشناً سِنانُها [1]. وهو على الحقيقة قَيْنة الشعراء في الإطراب ، وعنقاؤهم في الإغراب " .

وقال المعري : " المتنبي وأبو تمّام حكيمان ، والشاعر البحتري " .

ومن يقرأ سينيّة البحتريّ يَرُعْهُ ما يجد فيها من جمال صوتي ، وجرس موسيقي ، وهو يلائم بين جرس كلماته ومعانيها ، وبين أصوات الألفاظ والقوافي ، يقول في تضاعيفها :

صُنْتُ نفسي عمّا يدنّسُ نفسي — وترفَّعْتُ عن جَدا كلّ جِبْس[1]
وتماسكْتُ حين زعزعني الدهر — التماساً منه لتعسي ونكسي[2]
حضرتْ رحليَ الهمومُ فوجّهْتُ — إلى أبيضِ المدائن عَنْسي[3]
أتسلّى عن الحظوظ وآسى — لمحلٍّ من آل ساسان دَرْس[4]
فكأنَّ الجرْماز من عدم الأُنْسِ — وإخلاله بنيَّةُ رمْس[5]
لو تراه علمْتَ أنّ الليالي — جعلتْ فيه مأتماً بعد عُرْسِ[6]
فإذا ما رأيْتَ صورة أنطا — كيّةَ ارتعْتَ بين روم وفُرْسِ[7]

(١) القناة : الرمح . سنان الرمح : رأسه .　　(٢) جدا : عطاء . جبس : لئيم .
(٣) نكس : خفض ، إدناء .　　(٤) أبيض المدائن :قصر المدائن الأبيض .عنسي :ناقتي.
(٥) آل ساسان : حكام الفرس القدماء . درس : ممحوّ .
(٦) جرْماز : قصر من قصور المدائن . رمس : قبر .
(٧) الذي ينظر إلى آثار الجرماز المتهدم يعلم أنّه كان لأهله مجد ثم مضى .
(٨) كان على أحد الجدران صورة مرسومة لمدينة أنطاكيّة ، ورُسم فيها أيضاً جيشان للروم والفرس .

والمنايــا مواثــلٌ وأنــو شــر وان يزجي الصفوفَ تحت الدِّرَفْس[1]

في اخضرارٍمن اللباس على أصفر – يختــال فــي صبيغــة وَرْس[2]

وعــراك الرجــال بيــن يديــه في خُفوتٍ منهم وإغماضِ جَرْس[3]

مـن مُشيح يهوي بعامل رُمْحٍ ومُليــح مــن السِّنانِ بــتُرْس[4]

تصفُ العينُ أنّهم جِدّ أحيـاءٍ – لهــم بينهــم إشــارة خُــرْس

يغتلــي فيهــم ارتيــابي حتّــى تتقرّاهــم يــداي بلمــسِ[5]

إتقانه للوصف ، ووصفه للذئب

وَصْف إيوان كسرى من روائع البحتري ، ومن أبرع ما له في هذا الشأن أيضاً وصفه للذئب ، يقول :

وليلٍ كأنّ الصُّبْحَ في أُخْرياتِهِ حشاشةُ نَصْلٍ ضَمَّ إفرِنْدَهُ غِمْدُ[6]

تَسَرْبَلْتُهُ والذئبُ وَسْنانُ هاجِعٌ بعَيْنِ ابن ليلٍ مالَه بالكرى عَهْدُ[7]

---

(١) مواثل : حاضرات . أنو شروان : من مشاهير ملوك الفرس ، وهو قاتل مزدك داعية الإباحيّة . الدرفس : العلم . يزجي : يسوق .

(٢) أصفر : فرس أصفر اللون . ورس : نبْت أصفر اللون يُصْبغ به .

(٣) الصورة تمثّل معركة بين الروم والفرس .

(٤) مشيح : حذِر . المُليح : الذي يخاف ويحذر .

(٥) يغتلي فيهم ارتيابي : يزداد . تتقرّاهم : تتبعهم .

(٦) حشاشة : بقيّة . نصل : سيف . إفرنده : جوهره ووشيه . يشبّه الصبح حين يبدو خطّاً رفيعاً عند الأفق المظلم بسيف أُغْمِدَ إلا نَصْلَه .

(٧) تسربلْته : لبستُه ، أي سرْتُ فيه . ابن ليل : دائم السهر ، يريد اللصّ ، وسنان : ناعس ، نائم . الكرى : النوم الخفيف .

أُثيرُ القَطا الكُدريّ عـن جَثَماتِـه وتـألفني فيـه الثَّعـالِبُ والرُّبْـدُ[1]
وأطلسَ مِلْءِ العَيْن يحمـلُ زَوْرَهُ وأضلاعُه من جانبَيْه شَوىً نَهْدُ[2]
لـه ذنـبٌ مثـل الرِّشـاءِ يجـرُّهُ ومتْنٌ كمتْنِ القَوْسِ أعوجُ مُنْـأَدُّ[3]
طواه الطَّـوَى حتَّى استمرَّ مريـرُهُ فما فيه إلّا العظمُ والرُّوح والجِلْـدُ[4]
يُقَضْقِضُ عُصْلاً في أَسِرَّتِها الرَّدى كقضقضـةِ المقـرورِ أرعده الـبَرْدُ[5]
سما لي ولي من شِدَّةِ الجُوع مابـهِ ببيداءَ لم تُحْسَس بها عيشَةٌ رَغْـدُ[6]
كلانـا بهـا ذئـب يحـدِّثُ نفسَـه بصاحبـهِ والجَـدُّ يُتْعِسُـه الجَـدُّ[7]
عوى ثـم أقعـى وارتجزْت فهِجْتُـهُ فـأقبلَ مثـل الـبَرْقِ يتبعُـه الرَّعْـدُ[8]

---

(١) الكُدْري : المائل إلى السَّواد والغبرة . جثمات : جمع جثمة ، من جثم الطائر إذا تلبّد بالأرض . الربد : جمع أربد ، وهو الأسد ، والنعامة .

(٢) أطلس : ذئب أغْبَرُ إلى سواد . ملء العين : طويل مهيب . الـزَّوْر : أعلى الصَّـدْر . الشوَّى : الأطراف . مفرد في لفظه جمع في معناه . نهد : بارز .

(٣) الرِّشاء : حبل الدَّلْو . متن : ظهر . منأدّ : مُعْوَجّ .

(٤) الطَّوى : الجوع . استمرّ مريره : استحكم عليه .

(٥) يقضقض عصـلاً : يصوّت بأسنان صلبة معوَجّة . أَسِرَّتها : أوسطها . الـردى : الموت . المقرور : الذي أصابه القُرّ ، وهو البرد .

(٦) سمالي : خرج لي ، وقصدني . بيداء : صحراء . عيش رغد : طيّب واسع ، يريد (بحبوحة العيش) تصدّى الذئب للشاعر في صحراء قاحلة مقفرة .

(٧) كلّ منهما يطمع بإرداء الآخر ، وكلٌّ منهما عظيم ، لكنّ الحظّ قد يتعثّر بالعظمـاء ، أو لا يحالفهم .

(٨) أقعى : جلس على مقعدته . ارتجزْتُ : رفعت صوتي . هجته : أَثَرْتُه .

فأوجرتُه خرقاءَ تحسبُ ريشَها — على كوكب يَنْقَضُّ واللَّيْلُ مُسْوَدُّ[1]
فما ازدادَ إلا جُرْأةً وصرامةً — وأيقنْتُ أنّ الأمر منه هو الجِدُّ[2]
فأتبعتها أخرى فأضْلَلتُ نَصلَها — بحيثُ يكون اللُّبُّ والرُّعْبُ والحِقْدُ[3]
فخرَّ وقد أوردتُهُ مَنْهلَ الرَّدى — على ظمأٍ لو أنَّه عَذْبَ الوِرْدُ[4]
وقمْتُ فجمَعْتُ الحصى واشتويْتُه — عليه ، وللرَّمضاء من تحتِه وَقْدُ[5]
ونِلْتُ خسيساً منه ثمّ تركتُهُ — وأقلعْتُ عنه وهو مُنْعَفِرٌ فَرْدُ[6]

والأبياتُ متأثّرة إلى حدّ ما بقصيدة الفرزدق :

وأطلسَ عسَّالٍ وما كان صاحباً — دَعَوْتُ بناري مَوْهناً فأتاني[7]
فلمّا دنا قلتُ ادْنُ دونَكَ إنّني — وإيّاكَ في زادي لمشتركانِ
فقلت تعشَّ فإنْ واثقْتَنِي لا تخونني — نكنْ مثلَ مَنْ يا ذئبُ يصطحبان
وأنتَ امرؤٌ يا ذئب والغَدْرُ كنتما — أُخَيَّيْنِ كانا أُرْضعا بلَبانِ[8]

---

(١) أوجرته : طعنته . خرقاء : سهم . شبّهه بشهاب منقضّ .

(٢) أصابه السَّهْم الأوّل لا في محل مقتل .

(٣) أضللت نصلها : أدخلته . بحيث يكون اللبّ والرعب والحقد : كناية عن أنّه أصابه في قلبه .

(٤)سقط الذئب قتيلاً وهو ظامئ إلى قتل البحتري،حريص على إهلاكه لو تيسَّر له ذلك.

(٥) الرمضاء : الأرض الحامية . وَقْدٌ : اتّقاد ، احتراق .

(٦) أكل شيئاً يسيراً من لحم الذئب ، ثم تركه . منعفر : ممرّغ في التراب . فرد : وحيد في تلك المنطقة .

(٧) أطلس : ذئب أغبر اللون . عسّال : متمايل المِشْية . موهناً : في جزء من أجزاء الليل

(٨) لبان : حليب واحد .

لكن مصاحبة الفرزدق لذئبه في تلك الليلة التي وصَفَ كيف أمضياها فقال :

فبتّ أقدّ الزّاد بيني وبينَهُ ... على ضَوْء نارٍ مرّةً ودُخانِ(٣)

تختلف عن قتل البحتري لذئبه .

وكلاهما يختلفان عن موقف الأحيمر السَّعْدي في قوله :

عوى الذئبُ فاستأنستُ بالذئب إذْ عوى ... وصوّتَ إنسانٌ فكدْتُ أطِيرُ
يرى اللهُ إنّي للأنيسِ لكارهٌ ... وتُبغضهمْ لي مُقْلةٌ وضَمِيرُ

من وصفه للبِرْكة

يا مَنْ رأى البِرْكةَ الحسناءَ رؤيتَها ... والآنسات إذا لاحتْ مَغانيها(٤)
بِحَسْبها أنّها في فضل رتبتها ... تُعَدُّ واحدةً والبحرُ ثانيها
إذا النجومُ تراءتْ في جوانبها ... ليلاً حسِبْتَ سماءً رُكِّبتْ فيها

وكما كان البحتري موفّقاً في الوصف كان موفّقاً أيضاً في المديح ، ومن أحسن مدائحه قصيدته الرّائيّة في وصف المتوكل .

---

(٣) أقدّ : أقطع .

(٤) مغانيها : منازلها .

رائيّة البحتري في وصف المتوكل

ألّف البحتري هذه القصيدة سنة مائتين وخمس وثلاثين للهجرة ،وهو بحدود الثلاثين من عمره ، قد اكتملت ثقافته الأدبيّة ، وقطع مشواراً من التجارب الشعرية . والممدوح الذي يجلّه هو الخليفة المتوكّل ، وقد هنّأه بالعيد ومدحه .

واستهلّ الشاعر قصيدته -صُنْعَ القدماء الأوائل - بمقدّمة بين يدي غرضه الأساسي ، وجعل مقدّمته غزلاً بفتاة اسمها " عَلْوة " كان في أحلام شبابه يودُّ لو تكونُ حليلتَه ، فلم يتيسّرْ ذلك له ، وخطبها غيره ، وهو يرسم لها في هذا المطلع موقفاً مبايناً لموقفه ، ويسخّر لإيضاح ذلك ألواناً من " الطباق " ، وألفاظاً رقيقة ، وعبارات عذبة ، وجرساً موسيقيّاً متلائمَ الأصوات :

أخْفِي هوىً لكِ في الضّلوع وأُظهِرُ وألامُ في كمَدٍ عليكِ وأُعذَرُ
وأراكِ خُنْتِ على النّوى مَنْ لم يخنْ عهدالهوى،وهَجَرتِ مَنْ لايَهْجُرُ[1]

هي إذاً على خلافه ، ترغبُ عنه إذا نأى ، وكانتْ علوة من نصيب صديقٍ للبحتري كان من قبلِ أنْ يتزوجها من ممدوحيه ، فلمّا اقترنَ بها هجاه هذا الشاعر ، وفي البيت الثاني " تصريع " لو أراد أن يبني عليه ، لأنه يستطيع أن يجعله هكذا :

وأراك خُنْتِ على النوى مَنْ لم يخُنْ عهدَ الهوى

(١) النوى : البعد .

ويتابع حديثه عن إعراض عَلْوة :

وطلبْتُ منكِ مودّةً لم أُعطَها ... إنّ المعنَّى طالبٌ لا يَظْفرُ[١]

هل دَيْنُ علوةَ يُستَطاعُ فيُقتَضَى ... أو ظلمُ علوةَ يستفيق فيُقْصر[٢]

وهو يأخذ تعسر إيفاء دينها من قول كثير عزَّة :

قضى كلُّ ذي دَيْنٍ فوفَّى غريمَه ... وعزّةُ ممطولٌ معنًى غريمُها[٣]

وهذه واحدة من ستّمائة سرقةٍ أدبية عدّها النّقّاد للبحتري ، وقالوا إنّ مائة منها أخذها من أبي تمّام .

ويتابع تغزله بمعان واضحة ، وألفاظ منمّقة ، وعبارات مُنْسجمة ، وطبْعٍ موهوب :

بيضاءُ يُعْطيكَ القضيبَ قوامُها ... ويريكَ عينَيْها الغزالُ الأحورُ[٤]

تَمْشِي فتحكُمُ في القلوب بدلِّها ... وتميسُ في ظِلّ الشّبابِ فتَخْطِرُ[٥]

وبينما كان يتحدّث عن هواه توقّف بغتةً ، وانتقل من دون أن يلتمس حسن التخلُّص إلى مدح المتوكل :

---

(١) المعَنّى : من عنّاه ، إذا كلّفه ما يشقّ عليه .

(٢) يقتضى : يُطلب . يقْصر : يكفّ .

(٣) ممطول : مسوَّف .

(٤) الأحور : الجميل العين ، ألوانها صافية .

(٥) دلّ : جمال تُدلّ به . تميس ، تخطر : تتبختر .

اللــهُ مكَّــنَ للخليفـــةِ جعفـــرٍ مُلْكـاً يُحَسِـنُه الخليفـةُ جَعْفــرُ
نُعْمى من اللـه اصطفاه بفضلهـا واللـهُ يـرزقُ مـن يشـاء ويقـدر
فاسلمْ أمـير المؤمنيـن ولا تـزلْ تُعْطى الزّيادةَ في البقاءِ وتُشْكَرُ
عمَّـتْ فواضلُـكَ البريَّــةَ فــالتقى فيها المُقِلّ على الغنى والمُكْـثِرُ

هذا المدح مفاجئ ، ولم يحسن البحتري الخروجَ مـن الغـزل إلى المـدح ، ولكنّ أسلوبه بقي عَفْويّاً مطبوعـاً ، ونـراه يعيـد في عجـز البيـت الأوّل كلمـة (جعفر) ، وكان ذكَرها في صدره ، من قبيل " ردّ العجز على الصَّدْر " ويطـابق بين " يـرزق " و " يقـدر " و " والمقـلّ " و " المكـثر " والْتفـتَ مـن الغيبـــة إلى الخطاب حينما كان يتحدّث عن الخليفة المتوكّل " جعفـر " ، بصيغـة الغـائب ، فصار يدعو لأمير المؤمنين ، وهو المتوكل نفسه ، بلهجة الخطاب .

وكـان المتوكّـل قـد أتمّ صيـامَ رمضـان ، فـآنَ لـه يـومَ العيــد أن يتمتّــع بالإفطار ، والشاعر يهنئه بهذا العيد السعيد :

بالبِرّ صُمْتَ وأنتَ أفضل صـائمٍ وبسـنّةِ اللــهِ الرضيّــةِ تُفْطِـرُ
فَـانْعَمْ بيـوم الفِطْـر عيـداً إنّــه يومٌ أغرّ من الزّمانِ مُشَـهّرُ[1]

(١) أغرّ : مشرق . مشهّر : معروف .

وكان كلّ خليفة على مستوى فقهي وعلمي حميد، ولذلك انتضى المتوكّل ليخطب في المسلمين في ذلك العيد، وكان قد خرج إلى الصَّلاة في موكب رائع وسط رجال دولته، يحفّ بهم جمهور غفير من الشعب وأفراد الجيش، حتى أشبه الموكب جيشاً يبغي ساحةَ الحرب، فهذه خيول تَصْهَل، وأبطال تُغَمغم، وغبار يقتم حتى تكلح منه الشمس، ثم يسود السكونُ في المسجد، إذ يرتقي الخليفة المنبر، ويلقي خطبته، محذّراً العصاة، مبشّراً التُّقاة، هادياً الناس إلى المحجّة البيضاء، ثم صلُّوْا جميعاً:

أظهرْتَ عزَّ الملك فيه بجحفلٍ ... لَجِبٍ يُحاطُ الدِّيْنُ فيه ويُنْصَرُ[1]
خِلْنا الجبالَ تسيرُ فيه وقد غدتْ ... عُدَداً يسيرُ بها العديد الأكثرُ
فالخيل تَصْهَلُ والفوارسُ تدّعي ... والبِيضُ تلمع والأسنَةُ تَزْهَرُ[2]
والأرضُ خاشعةٌ تميدُ بثقْلِها ... والجوَّ معتكر الجوانبِ أغبَرْ
والشمسُ ماتعةٌ توقَّدُ في الضُّحى ... طَوْراً ويطفئها العجاج الأكدَرُ[3]
حتى طلعْتَ بضوء وجهك فانجلى ... ذاك الدجى وانجاب ذاك العِثْيَرُ[4]
وافتنَّ فيك الناظرون، فإصبعٌ ... يُوْما إليكَ بها، وعينٌ تنظرُ

---

(١) الجحفل: الجيش الجرار. لجب: ذو جلبة.

(٢) البيض: السيوف. الأسنة: الرماح. تزهر: تلمع.

(٣) ماتعة: طالعة.

(٤) العِثْير: الغبار.

يجدون رؤيتك التي فازوا بها ... من أنعُمِ الله التي لا تُكْفَرُ
ذكروا بطلعتك النبيَّ فهلّلوا ... لما طلعْتَ من الصفوف وكبّروا
حتى انتهيتَ إلى المصلّى لابساً ... نُورَ الهدى يبدو عليك ويظهَرُ
ومشيتَ مشيةَ خاشعٍ متواضعٍ ... لله لا يُزْهَى ولا يتكبَّرُ
فلوَ انّ مشتاقاً تكلَّفَ غير ما ... في وُسْعِه لمشَى إليكَ المنبرُ
أبَدْتَ من فصل الخطاب بخُطْبةٍ ... تُنبي عن الحقِّ المبين وتُخْبرُ
ووقفتَ في بُرْد النبيِّ مذكّراً ... بالله تُنْذِرُ تارةً وتبشِّرُ
ومواعظٍ شفَت الصُّدور من الذي ... يعتادُها وشفاؤها متعذّر
حتى لقد علمَ الجَهُولُ وأخْلَصتْ ... نفسُ المروِّي واهتدى المتحيّرُ[1]
صلّوْا وراءكَ آخذين بعصمةٍ ... من ربّهم وبذمّةٍ لا تُخْفَرُ[2]

والأبيات منسابة لا تتلكّأ بغريب ولا بغموض ، كأنها " سلاسل ذهب" ، كما وصف الدارسون شعره ، وصُوَرُها عفوية ، لا تعتمد الطريقة البيانية (التشبيه والاستعارة) ، كصورة الموكب المتوجّه إلى الصّلاة ، وأحياناً تعتمد على الصور البيانية ، كما في تجسيمه الهدى ، فهو يشبهه بالنور ، تشبيهاً بليغاً إضافياً .

واستعمل البحتري الطباق (تنذر ← تبشر) ، وأطنب بالترادف ، وآلف قوافيَه مع أحشاء الأبيات ، وقد نجد بعض المبالغة في معانيه ، لكنْ من الخير أن

(١) المروِّي : المتأنّي .

(٢) خفر الذمّة : لم يَرْعها .

نتذكّر العمل الجليل الذي أزجاه الله إلى المسلمين على يد المتوكّل ، وهو إيقاف فتنة المعتزلة الذي ساموا المسلمين سوء العذاب لعدم إجابتهم لهم في مشكلة خلق القرآن وهي فتنةٌ كانت منذ عصر المأمون عمّ المتوكّل ، وفي حياة أبيه المعتصم ، وأخيه الواثق .

وفي ختام القصيدة يهنئ البحتريُّ الخليفة بنَيْله الغفران من الله تعالى ، ومحبة الشعب ، والفضل الظاهر :

فاسعدْ بمغفرةِ الإله فلم يزل — يهبُ الذنوبَ لمن يشاء ُ ويغفرُ
اللهُ أعطاكَ المحبّةَ في الورى — وحباكَ بالفضل الذي لا يُنْكَرُ
ولأنت أملأ للعيونِ لديهمُ — وأجلُّ قدراً في الصدور وأكبَرُ

ومات البحتري سنة ٢٨٤هـ